الحِكَمُ والأمثالُ
في شعرِ عمرَ بنِ أبي ربيعة

د. محمد أحمد عبد العظيم

كلية الامام الاعظم الجامعة/ قسم اللغة العربية

خلاصة البحث
باللغة العربية

هذا البحث هو استخراجٌ للحِكَم والأمثالِ من شعرِ عُمرَ بنِ أبي ربيعة شاعر الغزل في العصر الأُمويّ، وقد أثبتَ البحث تميُّزَ شعرِه بكثير من أبيات الحكمة والأمثال، وهو شيءٌ غاب عن الباحثين رغم الاهتمام الذي أحاط شعرَه في القديم والحديث، ودرَسَ البحثُ مواضعَ الحكمة ووظيفتَها في شعره، وصنع مسرداً للحكم والأمثال فيه.

Abstract

This research is an elicitation of wisdoms and maxims from poetry of Umar Ibn Abi Rabea'a, the courting poet in The Umayyad Period. The research proved that his poetry was characterized by its containment with a lot of rhymes of wise and maxims where this point was unnoted by researchers although they were interested in his poetry in the past and nowadays. This research studied the points of wisdom and its functions in his poetry and introduces a list of wisdoms and maxims in it.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد وإخوانه الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عُنيَ هذا البحث باستخراج الحِكَم والأمثال من شعر عمرَ بنِ أبي ربيعة، شاعرِ الغزلِ في العصر الأُمويّ، من ديوان شعرِه الذي يُعَدُّ من الدواوين الكبيرة، وقد وصل إلينا وافراً. وقد بدأَتْ فكرةُ هذا البحثِ في قراءتي لشعره، وتنبُّهي إلى وجودِ كثيرٍ من أبيات الحكمة فيه، ثم تنبهي إلى أنه غير مشتهرٍ بالحكمة، فراجعتُ من أجل ذلك دواوينَ الأمثال والحِكَم العربية، فلمْ أجدْ مؤلفي هذه الدواوينِ أشاروا إلا إلى بضعةِ أبياتٍ من شعرِه، فكانَ أنِ استخرجْتُ أبياتَ الحكمة من ديوانه، وحاولتُ تعليلَ إغفالِ ذكرِه في دواوين الأمثال والحكم، وقد عَرَضْتُ في ذلك إلى تأويلِ بيتين أُسيء فَهْمُهما وجدتُ إلى شرحهما حاجةً فرجَّحتُ المعنى من سياقه. واقترحتُ إمكانَ اقتطاعِ كلماتٍ من أبياتٍ تصلح أمثالاً، كل ذلك بعد التعريف بالأمثال والحكمة وذكرِ الاختلاط بينها في دواوين الأمثال، وقد اقتضت مادةُ البحثِ أن يكون من تمهيدٍ وثلاثةِ مباحثَ، ثم صنعتُ مسرداً لمواضعِ الحكمة في شعره، وذكرت بعد ذلك عدداً من كلماته التي يمكن أن تُتخذَ أمثالاً وما تُضرَبُ له.

التمهيد

اختلاط الحكمة بالأمثال في دواوين الأمثال

اختلطت الحكمةُ بالأمثالِ عند الناس كثيراً، وصار أكثرُ المؤلفين الجامعينَ للأمثالِ بعد المفضَّلِ الضبِّي (ت ١٦٨) يُدخِلون الحكمةَ في مُختاراتهم[١]، ولعل مرجِعَ ذلك إلى إحساسهم بضَعفِ القيمةِ الفنيةِ الأدبيةِ للأمثال، لا أقولُ إحساسهمُ الظاهر، فإنهم يرَونَ للأمثالِ منزلةً رفيعة[٢]، بل إحساسهمُ الباطن الذي لا تُخالطه المقولاتُ السابقة، فالتعلُّقُ ببلاغةِ الأمثال، وإسباغُ الأدبيةِ عليها ليس مُصيباً، إذ إنَّ بعضها – أو كثيراً منها – لا حَظَّ له من البلاغة، ولكنه شاع، في الحينِ نفسه الذي لم نجد فيه شُيوعاً لأحاديثَ شريفةٍ وأقوالٍ جميلةٍ، فلَمْ تَجرِ مَجراها، ولم تُصبحْ أمثالاً(٣)، والشُيوعُ مُعضِلةٌ لا تكادُ تجدُ تفسيراً، فقد يشيعُ الدونُ ويُغمَرُ المُرتفعُ في الآدابِ والفنون والأَعلامِ وغيرِها، ولا يَحُدُّه قانونٌ واضح، ومن المُحقَّقِ أنني لا أعني بالأمثال التي أصفُها

(١) ينظر: امثال العرب للمفضل الضبي / مقدمة المحقق إحسان عباس ٥، ولم يدخل المفضل الضبي الحكمة والأحاديث النبوية والوصايا في كتابه، وينظر الأمثال العربية القديمة لرودلف زلهايم، مقدمة المترجم رمضان عبد التواب ٨.

(٢) ينظر في امتداح الأمثال: الأدب الصغير لابن المقفع ٣٢، ديوان الأدب للفارابي ١/ ٧٤ العمدة: ١/ ٢٨٠، إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ٤٢٥، الأمثال للقاسم بن سلام ٣٤.

(٣) ينظر: الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلة محمد توفيق أبو علي ٤٣.

بضَعفِ القيمةِ الفنيةِ الأدبية إلا الأمثالَ العربيةَ القديمةَ المُقتطعة، كالتي جمعَها المفضّلُ الضبّيُّ وما جرى مجراها، وإلا فهذا لا يقعُ في القرآنِ والحديثِ وكثيرٍ من أمثالِ الشعر، وهي على كل حالٍ كثيراً ما تكونُ من بابٍ آخَرَ غيرِ طريقةِ أمثالِ العربِ المُقتَطَعة.

إن اقتصارَ المفضلِ الضبّيِّ على المُقتطعاتِ المشتهرةِ دون الحِكَمِ يُشعِرُ أن لفظَ المَثَلِ كان يُطلَقُ على ذلك النوعِ من الكلام فقط، ثم يبدو أنه تُوُسِّعَ فيه فشملَ الحكمة، وهو توسُّعٌ دلاليٌّ محتمل.

وهذا الإحساسُ، أعني إحساسَهم بضعفِ الأمثال بإزاءِ الحِكَمِ، مع إمكانِ التمثُّلِ بالحِكَمِ كثيراً قد يكون وراءَ اختلاطِ الحكمة بالأمثال في دواوين الأمثال بعدَ أمثال المفضل الضبّي، رغبةً في إضفاء الجمالِ على تلك المجموعات، أو تزيُّداً للتالي على السابق، ورتقاً لما ندَّ عنه.

وهو في الحقيقة تَرَقٍّ بالمادةِ المجموعة من اقتطاعِها من جملٍ في أحداثٍ اشتهرت بعد حينٍ مَضارِبَ لما يُشابِهُها، إلى اقتطاعِها أبياتاً كاملةَ المعاني من قصائدَ، وجملاً كاملةَ الدلالات من أحاديث، هذا، ولا نعدِمُ أن نجدَ بعضاً من الأمثال القديمةِ غيرَ مقتطعٍ من نص، ولا تصحَبُهُ قصة، بل هو هكذا قيل منفرداً.

المبحث الأول
التعريف بالمثل والحكمة

أولا: المثلُ في اللغة:

تدورُ أكثرُ مادة الميم والثاءِ واللامِ على معنى المشابهة، قال ابنُ فارس (ت٣٩٥): «الميم والثاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدل على مناظرة الشيءِ للشيءِ، وهذا مِثلُ هذا أي نَظيرُه، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد، ..... والمَثَلُ المضروبُ مأخوذٌ من هذا، لأنه يُذكر مُوَرّىً به عن مِثلِهِ في المعنى»(١) وقال ابنُ منظور (ت٧١١): «مِثْل: كلمةُ تسوية، يقال هذا مِثْلُهُ و مَثَلُهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنىً ..... والمَثَلُ الشيءُ الذي يُضرَبُ لشيءٍ مثلاً فيُجعَلُ مِثلَه، ..... ويقال تَمَثّلَ فلانٌ ضرب مثلاً، وتمثل بالشيءِ ضربه مثلاً»(٢)، «وضربُ المثلِ اعتبارُ الشيءِ بغيرِه»(٣)

ثانيا: المثل في الاصطلاح:

يدورُ المثل في هذا المعنى متكيفاً في عبارات النقادِ واللغويين، فهو عند ابن السكيت (ت٢٤٤): «لفظٌ يخالفُ لفظَ المضروبِ له ويوافقُ معناهُ معنى ذلك اللفظ»(٤)، وهو عند الفارابي (ت٣٥٠): «ما ترضاه العامةُ والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وهو أبلغُ الحكمة، لأن الناسَ لا يجتمعونَ على ناقصٍ أو مقصّرٍ في الجودة، أو غيرِ مبالغٍ في بلوغ المدى في النفاسة»(٥)، وهو عند الزمخشري (ت٥٣٨): القولُ السائرُ الممثلُ مضربه بمورده قال: «ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديراً بالتداول والقبول

(١) مقاييس اللغة: (مثل)
(٢) لسان العرب: (مثل)
(٣) لسان العرب: (ضرب)
(٤) مجمع الأمثال للميداني: ١/ ٥.
(٥) ديوان الأدب: ١/ ٧٤

إلا قولاً فيه غرابةٌ من بعض الوجوه»[1] وقوله: إلا قولاً فيه غرابة حصرٌ فيه مبالغة.

ولعلّ بعضَ هذه التعريفات لا تُخرِجُ الحِكَمَ من الأمثال بل تنصُ على أنها منها كما في تعريفِ الفارابي، فهي تنظرُ إليها مجموعةً مَعاً، ولا سيما أن أكثرَ الحكمةِ تُضرَبُ في النصحِ والإرشادِ والوصايا، فيكونُ هذا المدحُ الذي أُلبِسَ الأمثالَ أنما هو مدحٌ للحِكَمِ المختلطةِ بالأمثال، وقد تقدم الكلام على ذلك في أول البحث.

ثالثا: الحِكمة في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة: «الحاء والكاف والميم أصلٌ واحدٌ وهو المنع، وأولُ ذلك الحُكمُ وهو المنع من الظلم ..... والحِكمة هذا قياسُها لأنها تمنع من الجهل ..... والمُحَكَّمُ المجرَّبُ المنسوب إلى الحكمة»[2].

وفي لسان العرب: «الحكمة: عبارة عن معرفة أفضلِ الأشياء بأفضل العلوم ..... ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويُتقنها حكيم، والحكيمُ يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم، الجوهري: «الحُكم الحِكمة من العلم، والحكيم العالم وصاحب الحكمة، وقد حَكُمَ أي صار حكيماً، قال النمر بن تولب:[3]

وأبغضْ بغيضك بُغضاً رويداً
إذا أنت حاولتَ أن تحكُما

أي إذا حاولت أن تكون حكيماً[4]، انتهى كلام الجوهريّ، والحُكْم العلمُ والفقه، قال تعالى «وآتيناه الحُكمَ صبياً[5] أي علماً وفقهاً، هذا ليحيى بنِ زكريا، وفي الحديث إن من الشعر لحُكماً، أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنعُ من الجهل والسَّفَه وينهى عنهما، قيل أراد بها المواعظَ والأمثالَ التي ينتفع بها الناس ..... ويروى إن من الشعر لحِكمةً، وهو بمعنى الحُكم»[6]

وقد فُسِّرَت الحكمة في القرآن بمعانٍ منها السنةُ، والمعرفةُ بالدينِ والفقهُ فيه[7] و فُسِّرَت بالنبوة[8] وفُسِّرَت بالإصابةِ في القول والفعل[9] و فُسِّرَت بأنها السنة التي يُعلِّمُها الله النبيَّ في غير كتاب[10] و فُسِّرَت بأنها القران[11]، وذلك في اختلاف مواضعها التي

(١) ينظر الكشاف: ١/ ٥١ في تفسير قوله تعالى: «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً» البقرة ١٧.

(٢) مقاييس اللغة: (حكم).

(٣) ديوان النمر بن تولب: ١١٧.

(٤) ينظر الصحاح للجوهري: (حكم).

(٥) سورة مريم: ١٢.

(٦) اللسان: (حكم).

(٧) جامع البيان: المجلد ٢/ ٥٧٦، في قوله تعالى: «ويعلمهم الكتاب والحكمة» من الآية ١٢٩ سورة البقرة.

(٨) جامع البيان: المجلد ٤/ ٥١٤، في قوله تعالى: «وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة» من الآية ٢٥١ سورة البقرة.

(٩) جامع البيان: المجلد ٥/ ١٢، في قوله تعالى: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» من الآية ٢٦٩ البقرة.

(١٠) في شأن النبي عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: «ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل» من الآية ٤٨ سورة آل عمران، جامع البيان: المجلد ٥/ ٤١٦، وفي شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «واذكرْنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» من الآية ٣٤ سورة الأحزاب، جامع البيان: المجلد ١٩/ ١٠٨.

(١١) جامع البيان: المجلد ٢٢/ ١١٦، في قوله تعالى: «حكمة

ذُكِرَتْ فيها، على أنها لا يبعُدُ أن تكون في كثيرٍ من تلك المواضع نعتاً مقاماً مُقامَ المنعوت[1].

رابعا: الحكمة في الاصطلاح:

تختلفُ معاني الحكمة في الاصطلاح بحسب الموضع الذي تستعمل فيه، ويمكن مراجعة كثير من ذلك في معجم كشاف اصطلاحات العلوم والفنون في مادة (حكمة) وهي تدور في معانٍ غير التي تهمنا هنا، ثم نجد لها تعريفاتٍ متقاربةً كالذي نبحثُ عنه في الشعر، فهي: «الكلامُ المعقولُ المَصونُ عن الحشو»(٢) أو: هي: «قولٌ موجزٌ لا يُعرفُ في العادة أصلُه القديم، يعبر عن معنى مفيد في الحياة، أو عن حقيقة تتعلق بالواقع المألوف، ونجد في الكتاب المقدس حكماً و أمثالاً عميقة تتطلب تفسيراً، ويعبرُ عن الأمثال والحِكَم في لغة بسيطةٍ عاديةٍ قد تكونُ في بعض الأحيان مجازيةً أو رمزية»[3]، «والحكمة كلمةٌ جامعةٌ تُلخِّصُ نظريةً أو مجموعة ملاحظاتٍ وتجارب، والمفروض أن يسلم بها الجميع مثال ذلك قول المتنبي[4]:

مـن يهـنْ يسهلِ الهـوانُ عليه
مـا لِجُـرْحٍ بـمـيِّـتٍ إيـلامُ

والحكمة لدى عرب الجاهلية الخبرةُ المحدودة التي تصوِّرُها عبارةٌ قصيرة..... وليس معناها الفلسفة كما كانت تعني في العصور الإسلامية، وفي آخر معلقة زهيرٍ طائفةٌ من الحكم منها[5]:

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم»[6]

وعادة ما تكون الحكمة ذاتَ صِيغٍ تجرديةٍ يكثرُ فيها ألفاظُ العموم وتتكلم في الحقائق العامة(٧)، وإلى هذا المعنى الأخيرِ يذهبُ هذا البحث، في استخراج أبيات الحكمةِ من شعر عمر بن أبي ربيعة، ولا بأس بعد ذلك في اختلاط الحكمة بالأمثال من حيث التسمية، فإنه سائغٌ جارٍ، غير أني آثرت أن أفرق بين ذَيْنِكَ الشكلين من الأقوال في مدخل البحث للتوضيح فقط[8].

المبحث الثاني
مكانة عمر بن أبي ربيعة وإغفالُ بعضِ المؤرخين له:

لا يكادُ يُذكَرُ الغزلُ في الشعر العربي إلا ذُكِرَ

بالغة فما تغني النذر» الآية ٥ من سورة القمر.

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ٣/ ٩٣.

(٢) معجم التعريفات للشريف الجرجاني مادة (حكمة) ٨١.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية مادة حكمة (مثَل) ١٤٣، ويلاحظ أنه وضع كلمة مثَل بين قوسين توضيحاً لكلمة حكمة وإحرازاً لها من الحكمة التي هي العلم والتفكر.

(٤) ديوان المتنبي: ١٤٩.

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٦١.

(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: (حكمة) ١٥٣.

(٧) ينظر: الأمثال العربية والعصر الجاهلي ٤٨ و ١٤٧.

(٨) للتوسع في التفريق بين الحكمة والمثل ينظر الأمثال العربية والعصر الجاهلي محمد توفيق أبو علي ٤٨، الأمثال والحكم للماوردي مقدمة المحقق فؤاد عبد المنعم أحمد ٢٢ و ٢٤، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/ ٧.

عمرُ بنُ أبي ربيعة(١)، فهو التفاتةٌ في تاريخ الشعر العربي، أُوتي حظاً من الشعر لم يؤتهُ غيره، هذا زعمي، وهو زعمٌ سبقت إليه آراءُ كثيرٍ من الباحثين والنقادِ والمؤرخين للأدب والشعراءِ قبلَهم، بل يذهب الدكتور طه حسين إلى أن الغزل الحقَّ لم يوجد في الشعر العربي مرتين، بل مرةً واحدةً فقط، وكانت هذه المرةُ في العصر الأمويّ، فتجدُ في غزلِ الأمويين صدقَ العاطفةِ وصفاءَ الطبعِ والتمثيلَ الصادقَ لنفسِ الشاعرِ وللجماعةِ التي يعيش فيها، وإنك مهما قرأت بعد ذلك في غزل العباسيين والأندَلُسيين شعرتَ بالتكلف اللفظيِّ والمعنويِّ، وبعِظَمِ أثَرِ الصنعةِ فيه، ووجدتَهُ مُصطبغاً بالصبغة الحضرية التي تحمِلُكُ على أن تقدرَ أن صاحبَه ليس صادقاً فيه. ثم يرى الدكتور طه حسين أن أجود شعراء العصر الأموي هو عمرُ بلا منازعٍ في ذلك(٢). وقصةُ استماع عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما له وإعجابِهِ به معروفة(٣)، وقد لِيمَ رضي الله عنه في حفظه قصيدتَه (أمن آلِ نعمٍ) فقال: إنا نستجيدُها(٤). وروى الأصفهانيُّ أن العرب كانت «تُقِرُّ لقريش بالتقدم في كل شيءٍ عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمرُ بنُ أبي ربيعة فأقرّت لها الشعراءُ بالشعرِ أيضاً»(٥)، وقد روي عن كبيرَيْ شعراءِ العصرِ الأُمويِّ الفرزدقِ وجريرٍ استحسانُهما لشعره(٦)، والحقُّ أن أفضلَ النقدِ هو نقد الأدباء، فإن الأديب ذو صنعةٍ يعرفُ دقائقَها وهو الذي يُحسِنُ قبل كلِّ أحدٍ تذوُّقَ النصوصِ ومعرفةَ الفاضلِ منها، ومن التَّرَدِّي أن صارتِ الدراساتُ النقديةُ اليومَ نهباً لكلِّ من لا يعرفُ أدباً ولا يُحسِنُ جملةً واحدةً، فإذا زدنا على ذلك أن مَدحَ المُتعاصِرينَ غالبٌ لَمَظَنَّةِ التحاسُد، كان تفضيلُ الشعراءِ لعمرَ غيرَ منازَعٍ فيه، وترجمتُه في الأغاني ضافية، والأقوالُ في استحسان شعره كثيرة.

ولِأمرٍ ما ترك ابنُ سلام -رحمه الله- (ت٢٣٢) عمرَ ابن أبي ربيعة ولم يُترجم له في طبقاته، وقد ناقش الدكتور شوقي ضيف -رحمه الله- ذلك في تعليقٍ في آخرِ كتابه تأريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ورأى أنّ ابنَ سلامٍ كان مسوقاً بدوافعَ لغويةٍ خالصة، فعُنِيَ بشعراءِ البوادي ولم يكد يُعنى بشعراء المدن(٧)، ولعل النزعةَ الجادةَ لبعض العلماء، واختلاطَ أكثرِ العلومِ اللغوية بعلومِ القران والفقه نحّى ذكرَ شعراءِ الغزل، فحاولوا إطفاءهم وإطفاء ذكرِهم، ولم يستشهدوا كثيراً بهم إلا حيث تدعو الحاجةُ اللغوية، على أن بعضَ الفقهاء الذين غلب الطبعُ فيهم صنعةَ العلمِ والتكلفَ، كانوا أوسع صدوراً وأوضحَ معرفةً

(١) لترجمة الشاعر ينظر: الأغاني ١/ ٧٨.

(٢) ينظر: مقالة (زعيم الغزلين عمر بن أبي ربيعة) للدكتور طه حسين أعاد نشرها د. فائز محمد في مقدمة طبعته لديوان عمر.

(٣) الأغاني ١/ ٨٥.

(٤) الأغاني ١/ ٨٥.

(٥) الأغاني ١/ ٨٦.

(٦) الأغاني ١/ ٨٧ و ٩١ وغير هذين الموضعين.

(٧) العصر الإسلامي: ٤٨٧

بنفْسِ الإنسان، فتداولوا الغزلَ ووضعوا فيه الكتب، كاعتلال القلوب للخرائطي (ت٣٢٧) وطوق الحمامة لابن حزم (ت٤٥٦) وروضة المحبين لابن القيم (ت ٧٥١)، ولم يجدوا في ذلك بأساً، وقد وضع الشيخ عليٌّ الطنطاويُّ -رحمه الله- رسالة طريفة سماها من غزل الفقهاء، يرُدُّ بها على من لامه من الشيوخ في ذكر الحب والغزل، ذكر فيها طائفة من غزل الفقهاء[1].

المبحث الثالث
الحِكمُ والأمثال
في شعر عمر بن أبي ربيعة

قد يبعث ذكرُ الحكمة مقروناً بعُمرَ ما يبعثُ من الاستغراب، لما كان لهذا الشاعر من غرضٍ واحد دار فيه وهو الغزلُ والتعرُّضُ للنساء، فهل تخالِطُ الحكمةُ الغزلَ؟ والجواب أنْ نعم، لمَ لا تخالط الحكمةُ الغزل، أَوَليس الغزلُ هو أحدَ أهمِّ نواتجِ الحبِّ الذي يأخذ من الإنسان سنين، وهو عُمُرٌ من عُمُرِه، وطورٌ من أطواره التي يركبُها طبقاً عن طبق. ولماذا يُتَوقَّعُ من الحكمة أن تكون في الزهد والنصح والإرشاد وخوف الآخرة والفضائل الخُلُقية، ولا تكونَ في كل ما يتصل بحياة الإنسان، وما يقع له ومنه؟

إن من الالتفاتات الذكية بحثاً عنوانه (الحِكَمُ السلبية في الشعر العباسي)[2] للدكتور سمير حسن الشمريّ، الأستاذِ المساعدِ في كلية التربية الأساسية بجامعة بابل، وفيه استخلصَ شعرَ الحكمة التي تدعو إلى المنكر، وأصَّل لذلك من جهةِ استيفاء هذه الحِكَمِ السيئةِ المُضِلّةِ كلَّ صورِ بناء شعر الحكمة، إلا أنها كانت في اتجاهات مضادة للأحكام الشرعية والأخلاق والأعراف، كدعوتها إلى الفواحش، وتركِ المبالاةِ بكل شيءٍ يصُدُّ عن الفحشاء.

ومن المفارقة أن حكمة عمرَ بنِ أبي ربيعة ليس فيها من الحِكَمِ الداعية إلى الفحشاء شيءٌ يُذكر، وأكثرُ حِكَمه التي استخرجتُها من ديوانه هي من بناء الجُملِ التعميمية التي تكون على هيئة الخلاصة والقاعدة، لا على هيئة النصح والإرشاد، وهي تدور في معانٍ عامةٍ كالتصبُّرِ للهجرِ، وإحداثِ الذِّكْرِ للشوق، وأخلاقِ الأصدقاء، وحفظِ المودة، والصدقِ في الوعد، وتقلب الأيام، وغيرها، وهو أمر غريبٌ حقاً أن تخرجَ حِكَمُهُ أو أكثرُها طاهرةَ الأردان في قصائدَ تلاحقُ النساء وتشبِّبُ بهنّ، فهي ليست خطابيةَ الصيغة، ولا تتوجَّهُ بنصحٍ ولا بأمرٍ ولا نهي لأحد، كالحِكَمِ التي جمعها الدكتور سمير الشمري من شعر العصر العباسي.

وتأتي أبيات الحكمة في شعر عمر في أكثر مواضِعها لتوكيد معنىً سابقٍ عليها، وقد تأتي لنقض معنىً حين تكون في مُحاجّةٍ تدعو إلى دحضِ حجة، فالحكمة عنده جملةٌ لها غرض معنويٌّ واضحٌ هو التوكيدُ والتقوية، أو دفعُ حجةِ الآخَر.

وكثيراً ما يكون موضع الحكمةِ من قصيدة عمرَ آخِراً، ولكنه ليس على إطلاقه، فقد تكون متوسِّطةً في

(١) ينظر: رسالة (من غزل الفقهاء) علي الطنطاوي

(٢) ينظر في مجلة آداب المستنصرية العدد ٥٦/ ٢٠١٢

القصيدة أو في بدايتها، وأكثرُ منه وقوعُها نهايةَ بيت الشعرِ أو في شطرِه الثاني، وهذا متوافقٌ مع كون هذه الحكمةِ تساقُ في التوكيد لكلامٍ سابق، فتجمعُ الحكمةُ المعنى الموزَّعَ في كلماتٍ سابقةٍ لتجعلَه على هيئةِ قاعدةٍ مختصرةٍ يُختَمُ بها الكلام.

والحكمة في شعره لا تكثُر في القصيدة الواحدة إلا في النادر، بل ربما اشتملتِ القصيدةُ على حكمةٍ واحدة، وهي سنّةٌ مفضلةٌ عند العرب، اذ لم يكونوا يستجيدون القصيدة تُملأُ بالحكمِ والنصحِ والأمثال، لكنهم يستحبون أن تجريَ الحِكَمُ في قصائدِهم مجرى النوادر[1].

وقد يُمكنُ أن يُستفاد من معرفةِ طريقتِه في الحكمة في توثيقِ بعضِ الشعر المنسوب إليه، ففي ديوانه وفي كتب الأدب واللغة شعر منسوب إليه، وفي بعض أبياتِ هذا المنسوبِ حكمةٌ تشبهُ حكمته، فتقوِّي نسبتَها إليه لما فيها من موافقةٍ لما يكثرُ في شعره.

ومن الغريب أن أكثر كتب الأمثال لم تذكر حكمة عمر ولا أمثاله إلا القليل منها[2]، أفَكان ذلك لأنهم لم يظنوا شعر الغزل من مظانِّ الحكمة والأمثال؟ أم لأنهم بحثوا عن الحكمة في المواعظ والتأديب؟ أم لأنهم راعَـوا فيما جَمعوا من الأمثال ما كان ذائعاً فقط؟ أم هو نقصٌ في الاستقراء؟ غيرَ أن نقص الاستقراء مدفوعٌ هنا لوفرةِ علومِهمُ التي تُظهِرُها مؤلفاتُهم. فإن كان المثل لا يُعَدُّ مثلاً حتى يشيع بين الناس، فما بال حِكمِه لم تُتَعَهَّدْ بالحفظ والاستشهاد بها، وهي في شعرِه ظاهرةٌ كلَّ الظهور، إذ في حديثِه عن نفسه وعن حبيبته القائم على ضمائر التكلُّمِ والخطابِ، وعلى المخصَّصات والمعهودات بينه وبين حبيبته من الأشياء، تظهرُ الحكمة في شعره بألفاظِ عمومٍ في جُمَلٍ استئنافيةٍ خارجةٍ عن مساقِ حديثه من حيثُ صيغُ التكلمِ والخطابِ، فتَلتَفِتُ عن ذلك، ومن حيث المخصصاتُ المعهودةُ بين المتحادِثَين، فتلتفتُ عنها إلى ألفاظ عموم، فتكون الحكمة في شعره شديدةَ الوضوح.

وفي شعره طائفة من الأمثال، وكلماتٌ مما يصلح أن يكون أمثالاً، وحقاً لا يُعَدُّ القول مثلاً حتى يذيعَ ويشتهر، ولكننا في ذلك أمام مشكلة، فأكثرُ الأمثالِ العربية التي تزخر بها كتب الأمثال لم تَعُدْ مستعملة، وليس لها ذكر إلا في كتب الأمثال، أو في الأخبار القديمة، وكثيرٌ من هذه الأمثال ليست ذاتَ قيمةٍ فنيةٍ تستحق أن يُدعَى إلى إحيائها، وقد حفِظتْها كتب الأمثال من الضياع، فلا خوفَ عليها من حيث حفظُها والتوثيقُ لها، فلِمَ لا يُدعَى إلى اتخاذِ أمثالٍ أخرى والاستئناسِ بها في أحاديثنا؟ فإنْ صادفت قبولاً شاعت، وإلا فإنها لا تَضُرُّ أحاديثَنا وكلامَنا ما

(١) ينظر في ذلك نقلُ الجاحظِ النقدَ لكثرة الحكم (ويسميها الأمثال) في شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري: البيان والتبيين ١/ ٢٠٦

(٢) ينظر: جمهرة الأمثال: ١/ ٢٨٨، التمثيل والمحاضرة ٤٢٩، مجمع الأمثال ١/ ٢٠٥، المستقصى ٢/ ٦٣، فرائد الخرائد ٤٣٨ و٥٩٢، وهي لا تكاد تخرج عن قوله «حسن في كل عين من تود» وقوله «إنما العاجز من لا يستبد» وقوله «كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول».

دامت ذات قيمة فنية.

وقد قدَّمتُ الحِكَمَ على الأمثالِ في عنوان البحث، وفي المبحث الثالث لأنها هي أكثرُ وروداً في شعره، وقدمتُ الأمثال على الحكمِ في المبحث الثاني في التعريف لأن الأمثال أشهر استعمالاً في دواوين الأمثال، وهي الاسمُ العامُّ الذي قد يضُمُّ الحكمةَ على أنها شكل خاصٌ من أشكال المثل.

هذا، وينبغي أن يُعلَمَ أن الحكمة ليست من مُنبَغَيات الشعر، فلا يعني عَدَمُها في شعرٍ أنه ضعيف، كما لا يعني وجودُها في شعرٍ أنه قويّ.

المبحث الرابع
مسرد أبيات الحكمة في شعر عمر بن أبي ربيعة:

سأكتب فيما يلي من البحث رقم الصحيفة من الديوان بعد البيت الشعري تخفيفاً للهوامش، وسأضع موضع الحكمة من البيت بالخط المُغَلَّظ، ونسخةُ الديوان التي اعتمدتها هي نشرة د. فايز محمد، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٦.

١. صرمَتْ حبلَكَ البَغومُ وصدَّتْ
عنك في غيرِ ريبة أسماءُ
والغواني إذا رأينَكَ كهلاً
كان فيهنَّ عن هواك التواءُ ٣٦

٢. فعدي نائلاً وإن لم تُنيلي
إنما ينفَعُ المُحِبَّ الرجاءُ ٣٦

٣. خذي العَقْلَ أو مُنِّي ولا تَمْثُلي به
وفي العقلِ دون القتلِ للوترِ مطلبُ[1] ٥٣

٤. والدمعُ للشوقِ متباعٌ فما ذُكِرَتْ
إلا ترقرق دمعُ العينِ فانسكبا ٥٩

٥. مُرنّحُ العقلِ قد ملَّ الحياةَ ومن
يعلَقْ هوى مثلِها يستوجبِ العطبا ٥٩

٦. افعلي بالأسير إحدى ثلاثٍ
فافهميهنَّ ثم رُدِّي جوابي
اقتليهِ قتلاً سريحاً مُريحاً
لا تكوني عليه سوطَ عذابِ
أو أقيدي فإنما النفسُ
بالنفسِ قضاءً مفصلاً بالكتاب ٦١

٧. أو صِليهِ وصلاً يقَرُّ عليه
إن شرَّ الوصالِ وصلُ الكِذابِ[2] ٦١

٨. للناسِ فضلُكِ في حُسنِ الصفاء وفي
صِدقِ الحديث، وشرُّ الخُلةِ الكَذِبُ ٦٣

٩. قالت سكينةُ والدموعُ ذوارفٌ
منها على الخدينِ والجلباب ٧٥
ليت المغيريَّ الذي لم نجْزِهِ
فيما أطالَ تصيُّدي وطِلابي
كانت ترد لنا المنى أيامَنا
إذ لا نُلام على هوىً وتصابي

(١) العقل: الدية والتعويض، الوتر: الثأر.
(٢) الكِذاب مصدر من مصادر (كذب)

خُـبِّرتُ مـا قالت فـبِتُّ كأنما
واسـتـبـدت مـرةً واحـدةً

رُمِـيَ الحشا بنوافذ النُّشاب
إنما العاجزُ من لا يستبد ١٠٦

أسُكينَ ما مـاءُ الفراتِ وطيبُهُ
ذكر الجاحظ (ت٢٥٥) هذا البيت مستغرباً أن يكون في المدح، وقال: «ولا أعلم الموصوفَ بالاستبداد إلا مُجهَّلاً مذموماً»[٢] والذي يبدو من كلام عمر أنه يتمنى أن تُنجزه هندٌ وعدَها، فلعلهُ يريدُ أن تستبد برأيها مرةً واحدةً فلا تطيعَ فيه ناصحاً أو حاسداً، فهو تحريضٌ لها على ألا تُطيعَ فيه أحداً، وهذا مما يقع في الشعر من طيٍّ لبعض الكلام، فلا يُذكَرُ كلُّه، وهذا المعنى متوافقٌ مع القصيدة، إذ يذكُرُ بَعدَه حسَدَ جاراتِها لها فيقول:

مـنّـا عـلى ظـمـأٍ وحـبِّ شرابِ
١٢. زعموها سألت جاراتِها

بـألـذَّ مـنـكِ وإن نـأيـتِ وقلما
وتعـرَّت ذات يـومٍ تبترِدْ

ترعى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ ٧٦
أكـما يـنـعَـتُـني تُـبـصِرْنـني

وفي ظاهر هذا البيت ما يُحفِظُ، وقد فسره الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد -رحمه الله- بأنه يتهم حبيبته هذه فيقول لها: «إن حالنا معك مخالف لحالك معنا، فنحن نشتاقك على البعد وأنت لا تحفظين عهدنا إن غبنا عنك»[١] وليس هذا هو المعنى، فالمتقدم عليه من الأبيات يشير الى شدة تعلقها به، فهو على طريقته في إيجاز المعنى في خلاصةِ الحكمةِ يقول إنها من قليل النساء اللاتي يحفظن أمانة الغياب، وهو بهذا لا يريد كل النساء، بل الخليلاتِ المتبادلاتِ الحبَّ في الخفاء، فيعودُ المعنى في هذه القصيدة مدحاً لحبيبته، وذمّاً لأكثرِ الخلائل من النساء، ولا يُحمَلُ تعميمُهُ على كلِّ النساء، بل يُقصَرُ على النساء المتخذات أخداناً، وهنَّ أكثرُ من يتعامل معه الشاعر، والله أعلم.

عمرَكـنَّ الله أم لا يقتصدْ
فـتـضـاحَـكْـنَ وقـد قـلـن لها

١٠. وفي الصبر عما لا يواتيك راحةٌ
حسنٌ في كلِّ عينٍ مَن توَدْ ١٠٦

ولكنه لا صبرَ عندي ولا لبُّ ٧٦
١٣. حسداً حُمِّلْنهُ من شأنِها

١١. ليت هنداً أنجزتنا ما تعِدْ
وقديماً كان في الناس الحسدْ ١٠٦

وشـفـت أنـفـسـنـا ممـا تجـدْ
١٤. تلك التي سلَبتني العقلَ وامتنعت

والغانياتُ وإن واصَلْننا غُدُرُ ١٣٤
١٥. السرُّ يكتُمُه الإثنانِ بينهما

وكلُّ سرٍّ عدا الإثنينِ منتشرُ ١٣٥

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٢٧، الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) البرصان ٢٨.

تقطع همزة (اثنان واثنين) في شطريه من أجل الوزن.

١٦. والمرءُ إن هو لم يرقُبْ بصبوته
لمحَ العيون بسوء الظن يشتهرُ ١٣٥

١٧. وشاقني موقفٌ بالمروتين لها
والشوقُ يُحْدِثُهُ للعاشقِ الفِكَرُ ١٣٥

١٨. قد يعلَقُ القلبُ حُبّاً ثم يترُكُه
خوفَ المقالِ وخوفَ الكاشحِ الأشرِ ١٣٨

١٩. هاجت لنا ذكراً منها معارفُها
وقد تهيجُ فؤادَ العاشقِ الذِّكَرُ ١٤٠

٢٠. قالت ودمعُ العينِ يجري واكفاً
كالدُّرِّ يُسبِلُ مرةً ويغورُ
بالله زُرْنا إن أردتَ وصالَنا
واحذرْ أناساً كلهم مأمورُ
أنْ يأخذوك، فكن فتىً ذا فِطنةٍ
إن الكريمَ لدى الحذارِ صبورُ ١٤٤

٢١. ظَلْتُ فيها ذاتَ يوم واقفاً
أسألُ المنزلَ هل فيه خبَرْ
للتي قالت لأترابٍ لها
قُطُفٍ فيهن أُنْسٌ وخَفَرْ
قد خلوْنا فتمنَّينَ بنا
إذ خلونا اليومَ نُبدي ما نُسِر
فعرفْنَ الشوقَ في مُقلتِها
وحبابُ الشوقِ يبديه النظر ١٦٥

٢٢. قلن يسترضينها مُنْيَتُنا
لو أتانا اليوم في سرٍّ عُمَرْ
بينما يذكُرْنني أبصرنَني
دون قيدِ الميلِ يعدو بيْ الأغَرّ
قلن: تعرفن الفتى؟ قلن: نعم
قد عرفناه؟ وهل يخفى القمر ١٦٥

٢٣. قالوا صبوتَ فلم أَكذِبْ مقالَتَهم
وليس ينسى الصِّبا إن والهٌ كَبِرا ١٦٦

٢٤. أتحذَرُ وشكَ البينِ أم لستَ تحذرُ
وذو الحَذَرِ النحريرُ قد يتفكَّرُ ١٧٨

٢٥. ولستَ مُوَقّىً إن حَذِرْتَ قضيةً
وليس مع المِقدارِ يُكدي التهَوُّرُ ١٧٨

٢٦. تذكرتُ إذ بانَ الخليطُ زمانَهُ
وقديُسقِمُ المرءَ الصحيحَ التذكُّرُ ١٧٨

٢٧. قالت حَصانٌ غيرُ فاحشةٍ
فسمعتُ ما قالت ولم تدرِ
. . . . . .
هذا الذي يسبي الفؤادَ ولا
يكني ولكن باحَ في الشِّعرِ
إنَّ الرجالَ على تألُّفِهم
طُبِعوا على الإخلافِ والغدرِ ١٩١

٢٨. طاوعْتُ فيها واشياً فكأنني
في صرمِ ذات الخالِ كنت مُغمِّضا
وسفاهةٌ بالمرءِ صرمُ صديقِهِ يُرضي
بهجرته العدوَّ المُبغضا ٢٠٧

٢٩. أقبلْتُ أُخفي مشيتي مُتقنعاً
وأخو الخفاءِ إذا مشى يتقنعُ ٢١٧

٣٠. فعرفتُ صورتَها وليس بمُنكرٍ
أحدُّ شعاعَ الشمسِ ساعةَ تطلُعُ ٢١٨

٣١. قالت: تشيِّعُنا؟ فقلت صبابةً:
إن المُحِبَّ لمن يُحِبُّ مُشيِّعُ ٢١٩

٣٢. فاسترجَعَتْ وبَكتْ لِما قد غالَها
إن الموفَّقَ فاعلموا مسترجِعُ ٢١٩

٣٣. لا تسمَعِنَّ بنا قولَ الوُشاةِ ومن
يُطِعْ مقالةَ واشٍ كاشحٍ يَضِعِ ٢٢٠

٣٤. يا قلبُ صبراً فإنّهُ سَفَهٌ
بالمرءِ أن يستفزَّهُ الجزعُ ٢٢٢

٣٥. ألا قاتلَ اللهُ الهوى حيثُ أخلقا
فما إن ترى إلا مشوباً مُمَذَّقا
فما مِن مُحبٍّ يستزيدُ حبيبَهُ
يُعاتبُهُ في الوُدِّ إلا تفرَّقا ٢٥١

الألف في تفرقا ألف الاثنين عائدة على المحب وحبيبه

٣٦. بتنا وقلبي مشفق
من صرم هندٍ أوجلُ
إذ أرسلت في خُفيةٍ
إن المُحبَّ المُرسِلُ ٢٦٢.

وهذا الموضع ضعيف، وهو من قصيدةٍ غيرِ ذاتِ بالٍ في شعره.

٣٧. لقد أرسلَتْ في السرِّ ليلى بأن
أقِمْ ولا تَنأنا إن التجنُّبَ أمثَلُ ٢٦٤

٣٨. قلتُ: اسمعي فلقد أبلغتِ في لُطُفٍ
وليس يخفى على ذي اللُّبِّ من هزلا ٢٨٦

٣٩. ما سمّي القلبُ إلا من تقلُّبِهِ
ولا الفؤادُ فؤاداً غيرَ أن عقلا ٢٨٦

فيه حذف: اي ما سمّي القلبُ قلباً.

٤٠. حدثيني فدتك نفسي وأهلي
أتُحبينَني كَحُبِّكِ عَدلا ٢٨٨
إنَّ في الصرمِ راحةً من عناءٍ
ونَعَمْ في الجوابِ أحسنُ من لا ٢٨٨

٤١. أنتُنَّ زينْتُنَّ فُرقتنا
ولكلِّ صاحبِ زينةٍ عملُهْ ٢٩٣

٤٢. قد كنت آمُلُ طولَ مَكثِهِمُ
والنفسُ مما تأملُ الأمَلا ٢٩٤

٤٣. فقدكاديسلوالقلبُعنها،ومنيطُلْ
عليه التنائي والتباعُدُ يَذهَلِ ٢٩٧

٤٤. فإنك لا تدرين أن رُبَّ فتيةٍ
عجالى، ولولا أنت لم أتعجلِ
منعتُهُمُ التعريسَ حتى بدا لهم
قواربُ معروفٍ من الصبحِ مُنجلِ
.....
إرادةَ أن ألقاكِ يا أثلَ، والهوى
كذلك حمّالُ الفتى كلَّ مَحمَلِ ٢٩٨

٤٥. وفينا إذا ما حادثُ الدهرِ
أجحفت نوائبُهُ، والدهرُ جَمُّ التنقُّلِ
لذي الغُرمِ أعوانٌ وبالحق قائلٌ
وللحق تَبّاعٌ وللحربِ مُصطَلِ ٢٩٨

٤٦. أُلامُ على حُبي كأني سَنَنْتُهُ
وقد سُنَّ هذا الحبُّ من قَبلِ جُرهُم ٣١١

٤٧. وقالت أطعتَ الكاشحين، ومن يُطِعْ
مقالةَ واشٍ كاذبِ القول يندم ٣١١

وهذا من قليل الحكمة التي أجراها على لسان المرأة

٤٨. أطعتِ الوشاة الكاشحين ومن يُطِعْ
مقالةَ واشٍ يقرَعِ السِّنَّ مِن نَدَمْ ٣٢١

ويظهر في البيتين السابقين حسنُ تقليبه للتُهَم، فمرة يُجري الكلام على لسان حبيبته في اتهامِها إياه، ومرة يقولُه هو لحبيبته، وذلك في قصيدتين، وقد يُفسِّرُ هذا كثرةُ تقلُّبِه وتبدُّلِ هواه.

٤٩. أتاني رسولٌ كنت أحسَبُ أنه
شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعَمْ
فلما تباثَثنا الحديثَ وبيّنت
سريرتُهُ أبدى الذي كان قد كَتَمْ
يُخَبِّرُني أن المحرِّشَ كاذبٌ
ومن يُطِعِ الواشين أو زعْمَ من زَعَمْ
يُصَرِّمْ بظُلْمٍ حبلَهُ من خليلِه
وشيكاً ويجذِمْ قوةَ الحبلِ ما جَذَمْ ٣٢١

٥٠. إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تَتْبَعِ الهوى
فكنْ صخرةً في الحِجْرِ من حَجَرٍ أصَمْ ٣٢٢

وهذا من قليل حكمته التي هي على وجه الإرشاد.

٥١. أورَثْتِني داءً أخامِرُهُ
أسماءُ بزَّ اللحمَ عن عظمي
لو كنتِ أنتِ قسمتِ ذاك له
مُنِّي عليه لجُرتِ في القَسْمِ
لكنَّ ربّي كان قدَّرَهُ
فقضاءُ ربي أفضلُ الحُكمِ ٣٤٧

٥٢. أتريدُ قتلَكَ أم جزاءَ مودةٍ
إن الرفيقَ له عليكَ ذِمام ٣٥٣

٥٣. قد كنتُ أغنى في السفاهةِ والصِّبا
عجباً لما تأتي به الأيامُ ٣٥٣

٥٤. والآنَ أعذُرُها وأعلمُ أنما
سُبُلُ الضلالةِ والهدى أقسامُ ٣٥٣

الأقسام هنا جمع (قِسم) وهو الحظ والقدر، واقتطاع هذه الحكمة من غير (أنما) المتقدمة عليها هو لدرء دخول المتقدم عليها في الحكمة وهو ليس من الحكمة، وهو الفعل (أعلم)، لتعديه إلى (أنما) المصدرية التي سدت مسد مفعوليه.

٥٥. فبت مبيتاً ليس مثلَ مكانِنا
لمن لذَّ أو خاف العيونَ مكانُ
إلى مُستزادٍ من كثيبٍ وروضةٍ
سُتِرْنا بها، إن المُعانَ مُعانُ ٣٦٠

٥٦. حُمِّلْتُ من حُبِّيكِ ثقلاً فادحاً
والحبُّ يُحدِثُ للفتى أحزانا ٣٦٢

٥٧. ما إن ظلمتُ بما فعلتُ وإنما
يجزي العطيةَ من أرابَ وخانا ٣٦٣

علق على لفظ (العطية) الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بأنها هكذا وردت في النُّسخ، واقترَحَ أن تكون على حذف المفعول الثاني أي يجزي العطية

كفراناً، أو أنها محرفة من كلمة القطيعة.[1]

٥٨. وغضيضِ الطرْفِ مِكسالِ الضُّحى
أحـــورِ المُقلةِ كالرِّئْمِ الأغنْ
.....
راعـنـي منظـــرُه لمّـــا بدا
رُبما أرتـاعُ بالشيءِ الحَسَنْ ٣٦٨

٥٩. إن من تهوى مع الفجـرِ ظَعَنْ
للهوى، والقلبُ مِتباعُ الوَطَنْ ٣٧١

٦٠. فرآها القلـبُ لا شكـــلَ لها
ربما يُعجَبُ بالشيءِ الحَسَنْ ٣٧١

٦١. قدهاج قلبَك بعدالسلوةِالوطنُ
والشوقُ يُحدِثُهُ للنازحِ الشَجَنُ ٣٧٢

٦٢. اذااجتمعنا هجرْنا كلَّ فاحشـةٍ
عند اللقـاءِ، وذاكـم مجلسٌ حَسَنُ
فـذاك دهـرٌ مضت عنّا ضلالتُهُ
وكـلُّ دهرٍ له في سَيرِهِ سُنَنُ ٣٧٣

٦٣. إن الحـزيـــنَ يهيجُهُ
بعد الذهولِ بُكَا الحزين ٣٧٣

٦٤. اطلُبَنْ يا صاحِ وصلاً عندَها
إنخيـــرَالوصـلِماليسيُمَنْ٣٧٥

٦٥. كيف صبري عن بعضِ نفسي
وهليصبرُعنبعضِنفسِهِالإنسانُ٣٨٢

٦٦. فلكِ الله والأمانة والميثاق
ألا نـخـونَـكـم مـا بقينـا
ثم ألّا يـــزالَ من كنتِ تهوين
حبيباً ما عشت عندي مكينا
ثـم لا تخـرَب الأمـانـــةُ عندي
أغدرُ الناسِ من يخونُ الأمينا ٣٨٨

٦٧. فالتمِسْ ناصحاً قريباً من
النصحِ لطيفاً لِما تريدُ مكينا
لا يخـونُ الخليلَ شيئاً ولكن
رُبـما يُحسَبُ المُضِيعُ أمينا ٣٨٩
فـيرى فـعـلـه فـيُـسـدي إليه
وَهْـوَ في ذاك بـالحَـرَى أن يخونا
يـعـلـم الله إنـــــه لأمـيـنٌ
قُبِّحَتْ طِينةُ الخيانةِ طينا ٣٨٩

٦٨. وذو القلبِ المصابِ ولو تعزى
مشوقٌ حين يلقى العاشقينا ٣٩٥

الحكمة في الشعر المنسوب إليه:

١. إن جفتْني اليـومَ هندٌ
بـعـدَ وُدٍّ واقـــتراب
فـسـبـيـلُ الـنـاسِ طُـــرّاً
لـفـنـاءٍ وذهـــاب ٤٩

٢. كُتبَ القتلُ والقتالُ علينا
وعلى المُحصَناتِ جرُّ الذيولِ ٣٠٤

وقد نُسب إلى عمر في (فرائد الخرائد في الأمثال) لأبي يعقوب الخويِّيّ.[2]

(١) ينظر: شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة ٢٦٠.

(٢) ينظر: فرائد الخرائد ٥٩٢.

٣. صددتِ فأطولتِ الصدودَ وقلَّما
وصالٌ على طولِ الصدودِ يدومُ ٣٢٢

٤. واللهُ قد أنـزلَ في وحيِـهِ
مـبـيِّـنـاً في آيـــهِ المُـحـكـمِ
مـن يقتلِ الـنـفـسَ كـذا ظالماً
ولم يُقِدْها نفسَهُ يظلمِ ٣٥١

٥. إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى
فكن حجراً بالخَزْنِ من حَرّةٍ أصَمْ ٣٥٨

وهذا البيت المنسوب إليه في قطعة من ثلاثة أبيات يشبه بيتاً آخرَ من شعرِه هو قوله:

إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تَتْبَعِ الهوى
فكنْ صخرةً في الحِجْرِ من حَجَرٍ أصَمْ ٣٢٢

وقد مرّ، وهذا مما يقوي نسبته إليه كثيراً، ففي شعر عمر ابن ربيعة ظاهرة تكرار أشطر أو أبيات مع تغيير قليل كقوله:

فلما تـقَـضَّى الـلـيـلُ إلا أقـلَّـهُ
وكادت توالي نجمِهِ تتغور ١٢٦

وقوله:

فلما تـقَـضَّى الـلـيـلُ إلا أقلَّه
هبْنا ونادى بالرحيل سنانُ ٣٦٠

وكقوله:

قالت عـلى رقـبـةٍ يـومـاً لجارتها
ما تأمرينَ فإن القلب قد شُغِلا ٢٨٥

وقوله:

قالتْ على رِقـبـةٍ يوماً لجارتها
ما تأمرين فإن القلب قد تبلا ٢٨٨

وقد مرّ غيره قريباً في أبيات الحكمة، وهذه الظاهرة قديمة، كانت عند الجاهليين أيضاً كقول امرئ القيس في معلقته[1]

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها
بمنجردٍ قيدِ الأوابـدِ هيكل

وقوله الآخر[2]:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتِها
لغيثٍ من الوسميِّ رائـدُه خالِ

وغيرها. وهي تستحق أن تدرس، وقد يكون من تعليلِها ما يمكن تسميتُه البيتَ المسيطر أو الكلمة المسيطرة، فقد تقع في لسان الشاعر وتراوده إعجاباً منه بها، فيبني عليها كلمة أخرى من قصيدة أخرى، أو لأنه يجعلُها مُتّكأً يبني عليه في تمام كلامٍ آخر.

٦. خانك من تهوى فلا تخْنْهُ ٣٩٧
وكن وفياً انْ سلوتَ عنْـــهُ
بوصل همزة (إن) ونقل كسرتها إلى التنوين قبلها
واسـلـك سبيلَ وصـلِـه وصنْهُ
إن كان غـداراً فلا تَكُنْـــهُ
عسى تـبـاريـحُ تجـيءُ منْهُ
فـيرجِـعَ الـوصـلُ ولـم تشنْهُ

وهذه المواضع مما أثبت في ديوانه من المنسوب إليه، ووجود الحكمة فيها مما يقوي نسبتها إليه، ولا ريب أن يكون في كتب الأدب واللغة منسوبات

(١) ديوان امرئ القيس: ١٩.
(٢) ديوان امرئ القيس: ٣٦.

أخرى يمكن أن تُتَّخَذَ الحكمةُ إن وجدت فيها مقوياً لنسبتها.

المبحث الخامس
مسرد الأمثال في شعره:

١. ما كذا يجزي محبّ من أحب ٤٧

يمكن ضربُه مثلاً في الرد على الجزاء السيِّئ، وهو مثل حسنٌ في العتاب.

٢. فقعدتُ كالمهريق فضلة
مائه في حر هاجرةٍ لِلَمعِ سرابِ ٧٥

يُضرب للذي يضيع ما في يديه في طلب ما لا يدركه.

٣. لم تـزل مـن هـوى قريبة
تهوى من يليها حتى هويت الرياحا ٩٧

يمكن أن يضرب مثلاً على حب متعلقات الحبيب.

٤. فأتى حتفه يسير كفاحا ٩٧

يضرب مثلاً للذي يُقبِلُ على موتِه أو ما يَضُرُّه.

٥. فقلت لبكرٍ عاجباً أتجلدت لك الخير
أم لا تُطعِمُ الصيدَ أسهمي ٣٠٨

قوله لا تطعم الصيد أسهمي يضرب لما لا يأتي بشيء.

٦. ثـم قـالـت: بـل لِمـنْ أبغضَكُم
شقوةُ العيش وتكليفُ الحَزَنْ ٣٧١

وهو دعاء يشبه كثيراً دعاء الأمهات لأبنائهن في التنويمة العراقية القديمة، فهو من كلام النساء أماً كانت أو حبيبة، وتظهر في هذا البيت معرفةُ عمر بإجراء الكلام على ألسنة النساء إجراءً يوافق طبائعهن وهو مما برع فيه الشاعر[١]، ويمكن أن يتخذ مثلاً نسائياً على وجه الدعاء.

٧. فأجابت هـذهِ أمنيـــةٌ
ليت أنـا نشتريها بثمنْ ٣٧٢

ويمكن أن يتخذ هذا مثلاً لكل ما يُتمنّى ولا يمكن إدراكُه.

وقد وقع في شعره بعض أمثال العرب القديمة كقوله:

وددنـا ونعطى ما يجـود لـوَ انّه
لنا رائم حتى يؤوب المنخل[٢] ٢٧٣

هذا ويمكن اقتطاع كلمات كثيرة من شعره لتكون أمثالاً قصيرة، وقد تركتُ باب اقتطاع الأمثال من كلامه مفتوحاً، واقتطعت شيئاً قليلاً منه للتبيين.

وأما الحكمة فقد حاولت أن أجمعها كلها، ولكن قد يغفل القلب عن شيءٍ، فاللهم غفراً.

قد تنظر العينُ ولا تبصرُ ويبصِرُ القلبُ ولا ينظرُ[٣]

نتائج البحث

١. استخرج البحث سبعين حكمة من شعر عمر بن أبي ربيعة.

---

(١) ينظر: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ٢٢٨.

(٢) من أمثال العرب في الغائب الذي لا يرجى إيابه: حتى يؤوب المنخّل ..... رجل أرسل في حاجة فلم يرجع فصار مثلاً يضرب في كل من لا يرجى، اللسان (نخل).

(٣) البيت لي.

٢. استخرج البحث سبع كلمات تصلح أن تكون أمثالاً وترك الباب مفتوحاً للاقتطاعِ من شعره.

٣. ناقش البحثُ معنى حكمتين مما وقع فيه تأويل لم يجده البحث صحيحاً، وبيَّن المعنى المحتمل المناسب للكلام في موضعه.

٤. أثبت البحث بُعدَ حكمة عمر بن أبي ربيعة من الفحش في غالبها، وهو ما لم يكن متوقعاً في شعره.

٥. دعا البحث إلى اتخاذ الحكمة في شعره مميِّزاً من مميزاته يمكن الاستئناس به في تقوية الشعر المنسوب إليه كلما وُجِدَ فيه حكمة، لكثرة الحكمة في شعره.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. الأدب الصغر والأدب الكبير، تأليف ابن المقفع، تحقيق ودراسة: د. أنعام فوّال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢. أمثال العرب، تأليف المفضِّل بن محمد الضبّي، قدّم له وعلق عليه د. إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣. الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، تأليف رودلف زلهايم، ترجمه عن الألمانية وعلق عليه وصنع فهارسه الدكتور رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٤. الأمثال والحكم، تأليف علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ، تحقيق ودراسة د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥. الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلة)، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦. البيان والتبيين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨/ .

٧. تأريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٢٤، ٢٠٠٧م.

٨. التطور والتجديد في الشعر الأموي، تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٥ بلا تأريخ.

٩. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٣٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠. التمثيل والمحاضرة، تأليف أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣.

١١. جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، المسمى تفسير الطبري، تأليف أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢. الحِكم السلبية في الشعر العباسي، د. سمير حسن

الشمري، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٥٦/ ٢٠١٢.
١٣. ديوان الأدب، تأليف أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، المُتوفى عام ٣٥٠ هجرية، تحقيق د. أحمد مختار عمر، مراجعة د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.
١٤. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٤ بلا تأريخ.
١٥. ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرحه وقدّم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٦. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
١٧. ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بلا تأريخ.
١٨. ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح وتحقيق د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١٩. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح بن عقيل، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٠. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
٢١. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٢. فرائد الخرائد في الأمثال، تأليف أبي يعقوب يوسف بن طاهر الخُوَيِّيّ ت ٥٤٩هـ،
٢٣. كتاب الأغاني، تأليف أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م - ١٤١٤/ ١٤١٥ هـ.
٢٤. كتاب الأمثال، تأليف الإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ - ٨٢٨م، حققه وعلق عليه د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٥. كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٢٦. كتاب جمهرة الأمثال، تأليف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ضبطه وكتب هوامشه د. أحمد عبد السلام، خرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٧. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي.
٢٨. مجمع الأمثال، تأليف أبي الفضل أحمد بن

محمد النيسابوري المعروف بالميداني، المتوفى سنة ٥١٨هـ، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، ١٣٤٤هـ.

٢٩. المستقصى في أمثال العرب، تأليف أبي القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. معجم التعريفات، تأليف: علي بن محمد الجرجاني ت٨١٦هـ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوّف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤.

٣١. معجم المصطلحات الأدبية، إعداد إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، ١٩٨٦.

٣٢. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، تأليف مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤

٣٣. مقاييس اللغة، تأليف ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٢م.

٣٤. من غزل الفقهاء، تأليف علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.